مجلة العلوم الإسلامية مجلد: 03 عدد: 01 جوان 2021 ـــــ ISSN : 2773-2770

ص ـ ص: 09-44

أُسس العناية بالسّنة النّبوية عند المالكية في القرن الثّاني الهجري

❁ عبد السلام الهادي الأزهري

كلية الدراسات الإسلامية ـ سبها ـ الجامعة الأسمرية الإسلامية ـ ليبيا

Hesnawi41@gmail.com

الملخص:

يتناول هذا البحث جهود أئمة المذهب المالكي في العناية بالسنة النبوية، والوقوف على الأسس التي اعتمدوها، خاصة في القرن الثاني الهجري الذي يُثبت حرصهم على الحديث، وحسن الأدب في تعلُّمه وتعليمه، والأخذ من العلماء المتخصصين في علوم السنة، ومدى تحريهم في الرواة والرواية، فظهر بذلك أثر هؤلاء العلماء في مختلف الأمصار، حيث ظهرت المدارس وانتشرت الرحلات انتشاراً واسعاً، فتبيَّن بذلك أسبقيتهم في خدمة السنة النبوية تعليماً وتصنيفاً.

كلمات مفتاحية: السنة النبوية – المالكية – مالك – عناية – أسس.

Abstract :

This research deals with the efforts of the imams of the Maliki school of thought in taking care of the Sunnah of the Prophet, and standing on the foundations that they adopted,

المنارة للاستشارات

especially in the second Hijri century, which prove their eagerness to have hadith, good literature in learning and teaching it, taking from scholars specializing in the sciences of the Sunnah, and the extent of their investigation in the narrators and the narration. Thus, the impact of these scholars in various regions, where schools appeared and trips spread widely, thus demonstrating their primacy in serving the Prophet's Sunnah in education and classification.

Keywords:

Sunnah of the Prophet - the Malikis - the owner - care - the foundations.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ولي المتقين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

أما بعد..

فقد قيَّض الله تعالى لسنة نبيه صلى الله عليه وسلم في القديم والحديث رجالا يقومون بخدمتها، تعليماً وتصنيفاً، وكان للمذهب المالكي قصَب السبْق من هذا الجهد العظيم، الذي ينبغي أن يُبرز، فاستعنتُ بالله تعالى على إبراز هذا الجهد، من خلال نشر هذا البحث الذي جاء بعنوان:

المنارة للاستشارات

أُسس العناية بالسنة النبوية عند المالكية في القرن الثاني الهجري

أهداف البحث: يهدف البحث إلى إبراز الجهد التأصيلي للعناية بالسنة عند الإمام مالك وتلاميذه، وأن لهم السبق في العناية برواية الحديث والاستدلال به في القرن الثاني الهجري.

مشكلة البحث: تكمن مشكلة البحث في الإجابة عن التساؤل التالي: ما الأسس التي ارتكز عليها علماء المالكية في عنايتهم بالسنة النبوية؟ ومن هم أبرز أعلام هذا القرن؟

منهج البحث: المنهج الاستقرائي التحليلي: حيث قمت باستقراء الجهود الحديثية للإمام مالك وتلاميذه في العناية بالسنة في القرن الثاني؛ لأن هذا القرن يمثل مرحلة زمنية تأسيسية.

خطة البحث: قسَّمتُ البحث إلى مقدمة وتمهيد وخمسة مطالب وخاتمة.

المطلب الأول: الحرص على الحديث، وحسن الأدب في التعلُّم والتعليم.

المطلب الثاني: التحري في الرواة والرواية.

المطلب الثالث: الأخذ من العلماء المتخصصين في علوم السنة.

المطلب الرابع: العناية بفقه الحديث.

المطلب الخامس: أسبقية المالكية في التصنيف في علوم السنة: الموطأ والمدونة.

المنارة للاستشارات

المطلب السادس: الرحلة وأثرها في تلاميذ الإمام مالك وإظهار النتاج الحديثي.

ثم **الخاتمة** وضمنتها أهم النتائج والتوصيات.

ثم **قائمة المصادر والمراجع**.

تمهيد

إن العناية بالسنة ونشرها منهج دأب عليه الصحابة منذ عصر النبوة، فهم أُولى القرون الخيرية، وانتقلت هذه الهمم إلى علماء القرن الثاني، الذين برز من بينهم: الإمام مالك وتلامذته، حيث قاموا بجهد عظيم تمثَّل في العناية بالسنة والحفاظ عليها، فما الأسس التي اعتمدوها في ذلك؟ هذا ما سنعرفه من خلال هذا البحث.

التعريف بمصطلحات عنوان البحث:

أُسس: (أس) الهمزة والسين يدلان على الأصل والشيء الوطيد الثابت، فالأسُّ أصل البناء، وجمعه آساس، ويقال للواحد: أساس، بقصر الألف، والجمع أُسس[1].

العناية: حفظ الشيء والاهتمام به، والقصد للشيء والحرص عليه[2].

السنة لغةً: الطريقة، سواء كانت حسنة أو قبيحة [3].اصطلاحاً: ما أُثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل، أو تقرير، أو

(1) مقاييس اللغة، ابن فارس، 14/1.

(2) مقاييس اللغة، ابن فارس، 146/4.تاج العروس من جواهر القاموس، الزَّبيدي، 125/39. لسان العرب، ابن منظور، 104/15.

(3) المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، 417/8.

المنارة للاستشارات

صفة خِلقية أو خُلقية، وهَمٍّ وإشارة، يقظة ومناما، قبل النبوة وبعدها[4].

القرن الثاني الهجري: حيث يُعد هذا القرن من مراحل التأسيس، فإذا صحَّ الأساسُ صحَّ ما بُني عليه.

المالكية: نسبةً لإمام المذهب مالك بن أنس، وأقصد بهذا المصطلح: الإمام مالك وتلامذته.

فأقصد بالأسس: الجهود العلمية التي سار عليه الإمام مالك وتلامذته للعناية بالسنة النبوية والاهتمام بها تعليماً وتصنيفاً، حيث تعدُّ السنة مصدراً من مصادر التشريع الإسلامي، وأصلاً من أصول المذهب المالكي.

لقد نهج الإمام مالك رحمه الله تعالى نهجاً قويماً في تأسيس مدرسة حديثية مبنية على أُسس علمية ظهرت ثمارها في الواقع العلمي، مما يبعث برسائل لطلبة العلم أن يسلكوا سبيل التأصيل والتدرج في طلب العلم، كيف لا، وقد بشَّر به النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: «يُوشِكُ أَنْ يَضْرِبَ النَّاسُ أَكْبَادَ الإِبِلِ يَطْلُبُونَ العِلْمَ فَلَا يَجِدُونَ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنْ عَالِمِ المَدِينَةِ»[5].

فقد بلغ الإمام مالك شأواً عظيماً في العناية بالسنة رسم فيه منهجاً ظهرت آثاره في شيوخه وأقرانه وتلامذته، ويخبرنا عن ذلك أحمد بن صالح المصري حيث يقول: كان مالك في ثلاث طبقات، طبقة دونه

(4) الحديث والمحدثون، محمد أبو زهو، ص10.

(5) رواه الترمذي، أبواب العلم، باب ما جاء في عالم المدينة، برقم 2680، 47/5. وقال: حديث حسن.

المنارة للاستشارات

وأخرى فوقه، ولم يكن في الثلاث طبقات من يجيد الطلب مثله، فاق الثلاث طبقات. فالتي فوقه من وُلد في الثمانين: ابن عجلان وابن أبي ذئب ونمطهم، والتي معه: عبد العزيز ابن الماجشون وأبي الزناد وسليمان بن بلال وغيرهم، والذين دونهم: ابن الدراوردي وابن أبي حازم أنس بن عياض[6]. وما هذا إلا لحرصه الشديد على الأخذ، والتحري فيه، وهذا ما سأوضحه في المطالب التالية:

المطلب الأول: الحرص على الحديث وحسن الأدب في التعلُّم والتعليم.

حينما يقذف الله تعالى في قلب عبده حُبَّ العلم تجده لا تنطفي نهمته من القراءة والأخذ عن الشيوخ وتعليم الطلاب، فهذا الأخذ نابع من حُبِّ القلب لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان لإمام مالك شديد الاتباع لمنهجه وموقرا لآثاره[7]. وفيما يلي أذكر بعض المواقف الدالة على حرص مالك وتلاميذه على الحديث:

الموقف الأول: أنه ذات يوم كان يقود شيخَه نافعاً من منزله إلى المسجد - وكان قد كُفّ بصره - فيسأله فيُحدِّثه، وكان منزل نافع بناحية البقيع.

فهنا يستغل مالك تلك الخطوات ليكسب في رصيده أحاديث جديدة، وهكذا ينبغي أن يكون طلبة العلم، الحرصُ ديدنهم، والأدب عنوانهم، حرصين على عدم ضياع الفرص مع شيوخهم.

(6) ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض، 117/1.

(7) ينظر ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض، 144/1.

المنارة للاستشارات

الموقف الثاني: قال مالك: شهِدتُّ العيد فقلت هذا اليوم يخلو فيه ابن شهاب، فانصرفتُ من المصلَّى حتى جلستُ على بابه، فسمعته يقول لجاريته: انظري من على الباب؟ فنظرتْ فسمعتُها تقول: مولاك الأشقر، مالك. قال: أدخليه، فدخلتُ، فقال: ما أراك انصرفت بعد إلى منزلك؟ قلت لا. قال: هل أكلتَ شيئاً؟ قلت: لا، قال: فاطعم، قلت: لا حاجة لي فيه، قال: فما تريد؟ قلت: تُحدِّثني، فحدَّثَني سبعة عشر حديثاً، ثم قال: وما ينفعك إن حدَّثتُك ولا تحفظها، قلت: إن شئت رددتُها عليك، فرددتها عليه، وفي رواية: قال هات، فأخرجت ألواحي فحدَّثَني بأربعين حديثاً، فقلت: زدني، قال: حسبُك إن كنتَ رَوَيْت هذه الأحاديث فأنت من الحفَّاظ، قلت: قد رويتُها، فجبذ الألواح من يدي ثم قال: حدِّث، فحدَّثتُه بها، فردَّها إليَّ وقال: قم، فأنت من أوعية العلم، أو قال: إنك لنعم المستودع للعلم[8]. فمن هذا المشهد نستخلص الدلالات التالية:

- الحرص الشديد على الحديث واستغلال الأوقات.
- ثقة مالك بنفسه وحفظه.
- مكانة مالك لدى شيخه.

الموقف الثالث: قال عبد الله بن فروخ: لما أتيتُ الكوفة وأكثر أملي السماع من الأعمش، فسألت عنه، فقيل لي: غضب على أصحاب الحديث، فحلف أن لا يُسمِعهم مدَّة، فكنتُ أختلف إلى باب داره لَعلِّي أصِل إليه، إذ فتحتْ يوماً بابه وخرجتْ منه جارية، فقالت لي: ما بالك

(8) ينظر ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض، 1/109-110.

المنارة للاستشارات

على بابِنا؟ فأعلمتُها بخبري، قالت: وأين بلدك؟ قلت: أفريقية، فانشرحت إليَّ وقالت: تعرف القيروان؟ قلتُ: أنا من أهلها، قالت: تعرفُ دار ابن فروخ؟ قلت: أنا، فتأمَّلتْني، ثم قالت: عبد الله؟ قلت: نعم، وإذا هي جاريةٌ لنا بِعْناها صغيرة، فصارتْ إلى الأعمش، وقالت له: مولاي الذي كنت أخبرتُك بخبره بالباب، فأمر بإدخالي فدخلت، وأسكنني بيتاً قُبالة بيته، فسمعت منه وحدَّثَني[9].

وهذه الخصلة – أي الحرص على الحديث - خصلةٌ طيبةٌ أقرَّها النبي صلى الله عليه وسلم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لاَ يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ»[10] وقد ترجم البخاري في الصحيح "باب الحرص على الحديث"[11].

كل هذا الشغف بالسنة والحرص عليها يدل على حسن القصد في التعلُّم والتعليم، الذي ينبغي مداومة إحيائه بين طلبة العلم، لا مجرد التفكُّه ومجادلة العلماء والتنقيص منهم.

المطلب الثاني: التحري في الرواة والرواية.

(9) ينظر ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض، 379/1.

(10) رواه البخاري، كتاب العلم، باب الحرص على الحديث، رقم99.

(11) صحيح البخاري، 31/1.

المنارة للاستشارات

إن عناية مالك بالحديث النبوي بلغت شأواً عظيماً حتى شهد له الوسط العلمي بذلك، فقد قال سفيان بن عيينة: رحم الله مالكاً ما كان أشد انتقاده للرجال، وأعلمه بشأنهم [12].

وفيما يلي أضرب الأمثلة على ذلك:

- عن بشر بن عمر قال: سألت مالك بن أنس عن رجل؟ فقال: هل رأيته في كتبي؟ قلت: لا، قال: لو كان ثقة لرأيته في كتبي[13].

- قال مالك: "إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم لقد أدركت سبعين ممن يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند هذه الأساطين وأشار إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فما أخذت عنهم شيئا وان أحدهم لو اؤتمن على بيت مال لكان أمينا إلا أنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن"[14]. وفي رواية: "أدركت بهذا البلد مشيخة لهم فضل وصلاح يحدثون ما سمعت من أحد منهم شيئا قيل لم يا أبا عبد الله قال لم يكونوا يعرفون ما يحدثون"[15].

فالإمام مالم يبعث برسالة مفادها: الحثُّ على الأخذ من المتخصصين في علم الحديث؛ إذ بذلك يستقيم المنهج، ويؤتي ثمرته بصحة الحديث ومن ثم الاستدلال به على الأحكام الشرعية التي يتلقاها المكلفون بالقبول والعمل، فهو يضع أساسا متيناً لقبول الرواية حتى يستقيم الاستدلال بها.

(12) ينظر الجرح والتعديل، ابن أبي حاتم، 23/1.

(13) ينظر الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء، ابن عبد البر، ص47.

(14) الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء، ابن عبد البر، ص45.

(15) المصدر نفسه، ص47.

المنارة للاستشارات

ونتج عن هذا الحرص والتحري في الرواية قول البخاري: أصح الأسانيد كلها مالك عن نافع عن بن عمر[16]، بل من شدة حرصه وتحريه في الرواية كان يشدد في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في الباء والتاء ونحوهما[17]وهذا التدقيق في الحديث هو الذي أكسب علم المدينة ثقة علماء المدن الإسلامية[18].

- عن إبراهيم بن عبد الله بن قريم قال: مرَّ مالك بن أنس على أبي حازم، وهو جالس فجازه، فقيل له: قال: إني لم أجد موضوعاً أجلس فيه، وكرهت أن آخذ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا قائم.

- قال ابن عينية: شهدتُّ مالكاً يسأل زيد بن عمر عن حديث عمر "أنه حمل على فرس في سبيل الله" يجعل يرفق به ويسأله عن الكلمة بعد الأخرى والشيء بعد الشيء[19].

المطلب الثالث: الأخذ من العلماء المتخصصين في علوم السنة.

في ظل كثرة المدارس المختلفة وتنوع المشارب يحير طالب العلم ممن يأخذ؟ وأي كتب يقرأ؟ يجيبنا الإمام مالك بذلك بقوله: "أدركت جماعة من أهل المدينة ما أخذت عنهم شيئاً من العلم وأنهم ليؤخذ عنهم العلم، وكانوا أصنافاً: فمنهم من كان يكذب في حديث الناس ولا

(16) معرفة علوم الحديث، أبو عبد الله الحاكم، ص99.

(17) شرح علل الترمذي، ابن رجب الحنبلي، 434/1.

(18) ينظر المنتقى من منهاج الاعتدال، شمس الدين الذهبي، ص88. بحوث في تاريخ السنة المشرفة، أكرم ضياء العمري، ص27.

(19) ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض، 108/1.

المنارة للاستشارات

يكذب في علمه، ومنهم من كان جاهلاً بما عنده، ومنهم من كان يزن برأي سوء"[20].

فهنا يضع لنا الإمام أساساً متيناً في تلقي العلم وخاصة علوم السنة التي تحتاج إلى دقة في التحمل؛ حتى لا يحصل خللا في الأداء، فلا ينبغي لطالب الحديث أن يقتصر على سماع الحديث وكتبه دون معرفته، وفهمه، فيكون قد أتعب نفسه من غير أن يظفر بطائل، وبغير أن يحصل في عداد أهل الحديث، بل لم يزد على أن صار من المتشبهين المنقوصين، المتحلين بما هم منه عاطلون[21].

وقال الشافعي: كان مالك إذا شك في بعض الحديث طرحه كله[22].

وفي ذلك يقول عبد الله بن المبارك – وهو من تلاميذ مالك -: "الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال مَن شاء ما شاء"[23].

وسأله رجل فقال: ما تقول يا أبا عبد الرحمن، من طلب العلم هل له أن يشدد في الإسناد؟ قال: نعم من كان طلبه لله ينبغي له أن يكون في الإسناد أشد وأشد؛ لأنك تجد ثقة يروي عن ثقة وتجد ثقة يروي عن غير ثقة"[24]. وهذا تأصيل مهم وعناية دقيقة في الحديث.

أثر عناية مالك بالحديث فيمن بعده:

(20) ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض، 112/1.

(21) ينظر معرفة أنواع علوم الحديث، ابن الصلاح، ص250.

(22) الجرح والتعديل، ابن أبي حاتم، 14/1.

(23) مقدمة صحيح مسلم، 15/1.

(24) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، الخطيب البغدادي، 200/2.

المنارة للاستشارات

ذكرنا في المطلب السابق مدى حرص الإمام مالك على الحديث بانتقاء الرواة، وهذا ما عكس اهتمام الأئمة لحديث مالك:

قال عبد الرحمن بن مهدي: "ما أُقدِّم على مالك في صحة الحديث أحداً"، وعن يحيى بن سعيد قال: كان مالك إماما في الحديث، وقال الشافعي: إذا جاء الأثر فمالك النجم، وقال أيضا: إذا جاء الحديث عن مالك فشد به يدك [25].

أثره فيمن بعده حتى أوصى العلماء بحديثه:

عن عبد السلام بن عاصم، قال: قلت لأحمد بن حنبل: الرجل يريد حفظ الحديث، فحديث من يحفظ؟ قال: حديث مالك بن أنس [26].

كان مالك بن أنس يقول لا يؤخذ العلم من أربعة ويؤخذ ممن سواهم: لا يؤخذ من سفيه، ولا يؤخذ من صاحب هوى يدعو إلى بدعته، ولا من كذَّاب يكذب في أحاديث الناس وإن كان لا يتهم على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا من شيخ له فضل وصلاح وعبادة إذا كان لا يعرف ما يحمل وما يُحدِّث به [27].

فهنا يؤسس لنا الإمام مالك أسس الأخذ عن الرواة، وهذا يؤكد أنه من أوائل من أسس لعلم نقد الرجال.

المطلب الرابع: العناية بفقه الحديث.

(25) ينظر الجرح والتعديل، ابن أبي حاتم، 14/1.

(26) مسند الموطأ، الجوهري، ص109.

(27) ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض، 113/1.

المنارة للاستشارات

المراد بفقه الحديث: فهمه في ضوء اللغة ومعرفة سبب وروده وتمييز الناسخ من منسوخه واستنباط الأحكام منه، حيث نجد في السنة النبوية الحث على فهم الحديث وفقهه: «نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ إِلَى مَنْ هُوَ أَحْفَظُ مِنْهُ، وَيُبَلِّغُهُ مَنْ هُوَ أَحْفَظُ مِنْهُ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ»[28].

وفقه الحديث الذي هو ثمرة علوم الحديث، وهو جانب من فهم الدين كما قال عليه الصلاة والسلام: (مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ)[29] وهو نص واضح في أن الفهم هو الأساس.

وقد جعله أبو عبد الله الحاكم نوعا مستقلا من أنواع علوم الحديث، حيث قال: "النوع العشرون من هذا العلم معرفة فقه الحديث، إذ هو ثمرة هذه العلوم وبه قوام الشريعة، ونحن ذاكرون بمشية الله في هذا الموضع فقه الحديث عن أهله ليستدل بذلك على أن أهل هذه الصنعة من تبحر فيها لا يجهل فقه الحديث إذ هو نوع من أنواع هذا العلم"[30].

والمتتبّع لجهود المالكية في هذا القرن يجد التركيز على هذا الجانب وهو الجمع بين رواية الحديث وفقهه ظهرة هذه السمة البارزة في تدريسهم ومصنفاتهم، فلم يكن همُّ الإمام مالك وتلامذته تغليب الرواية على الفهم، فهذا مالك يوصي ابنا أخته - أبي بكر وإسماعيل ابنا أبي أويس - بقوله: أراكما تحبان هذا الشأن وتطلبانه - يعني

(28) أخرجه الترمذي، أبواب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، رقم2656.5/33. وقال: حديث حسن.

(29) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، ح71. 1/25.

(30) أبو عبد الله الحاكم، معرفة علوم الحديث، ص257.

المنارة للاستشارات

الحديث -؟ قالا: نعم، قال: إن أحببتما أن تنتفعا وينفع الله بكما فأقِلاَّ منه وتفقَّها[31]. فمالك لم يقصد صرفهما عن أخذ الحديث أصالة؛ وإنما أرشدهما إلى كيفية الجمع بين الرواية والفهم معا؛ حتى لا يكونا كالذي يحفظ ولا يفهم.

وهذا منه منهج سديد أبرزه في موطأه، حيث يجمع بين الرواية وفقهها ينبغي السير عليه، وخاصة في زمننا هذا الذي كثر الاهتمام فيه بالدليل وأُهمل فقه الدليل.

قال ابن وهب: نظر مالك إلى العطاف بن خالد فقال: بلغني أنكم تأخذون من هذا، فقلت بلى، فقال: ما كنا نأخذ الحديث إلا من الفقهاء[32].

وهذا يدل على التأمل في هذه المرويات بحيث يصل إلى فهمها وفقهها؛ لأنه إذا حملها دون فهم ربما أدى هذا إلى عدم ضبطها واستقرارها في ذهنه فيؤديها أداء غير صحيح[33].

وقال مالك: لقد أدركت في هذا المسجد سبعين شيخاً كلهم خير من عطاف ما كتبت عن أحد منهم، وإنما يكتب العلم عن قوم مثل عبيد الله بن عمر وأشباهه[34].

(31) نصيحة أهل الحديث، الخطيب البغدادي، ص37. وقد عقد الرامهرمزي بابا بعنوان "فضل من جمع بين الرواية والدراية" ص238.

(32) ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض، 113/1.

(33) توثيق السنة في القرن الثاني الهجري أسسه واتجاهاته، رفعت بن فوزي عبد المطلب، ص170.

(34) شيوخ ابن وهب، ابن بشكوال، ص211.

المنارة للاستشارات

وهذا ما أحسَّ به ابن وهب حيث قال: "لولا أن الله أنقذني بمالك والليث لضللتُ، فقيل له: كيف ذلك؟ فقال: أكثرتُ من الحديث فحيَّرني، فكنت أعرض ذلك على مالك والليث فيقولان: خذ هذا ودع هذا"[35].

قال الخطيب البغدادي: "وليعلم أن الإكثار من كتب الحديث وروايته لا يصير بها الرجل فقيها، إنما يتفقه باستنباط معانيه، وإنعام التفكر فيه"[36].

وقال أيضاً: "وإنما أسرعت ألسنة المخالفين إلى الطعن على المحدثين لجهلهم أصول الفقه وأدلته في ضمن السنن مع عدم معرفتهم بمواضعها، فإذا عُرف صاحب الحديث بالتفقُّه خرست عنه الألسن، وعظُم محلُّه في الصدور والأعين، وخشي من كان عليه يَطعن"[37].

فالخطيب البغدادي يذهب أبعد من ذلك وهو أن قلة الفقه والمعرفة بالأدلة مدعاة للطعن في طالب العلم.

فمن أصول الاستدلال حسن الفهم، فبعد ثبوت الدليل، لا بد من فهمه كي يتم الاستدلال به.

قال يحيى الليثي: كنت آتي عبد الرحمن بن القاسم، فيقول لي من أين يا أبا محمد؟ فأقول له: من عند عبد الله بن وهب. فيقول لي: اتق الله، فإن أكثر هذه الأحاديث ليس عليها العمل. ثم آتي عبد الله بن

(35) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ابن فرحون، 416/1.

(36) ينظر المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، الرامهرمزي، ص242. نصيحة أهل الحديث، الخطيب البغدادي، ص37.

(37) نصيحة أهل الحديث، الخطيب البغدادي، ص40.

المنارة للاستشارات

وهب، فيقول لي من أين؟ فأقول له: من عند ابن القاسم، فيقول لي اتق الله، فإن أكثر هذه المسائل رأي، ثم يرجع يحيى فيقول: رحمهما الله فكلاهما قد أصاب في مقالته، نهاني ابن القاسم عن إتباع ما ليس عليه العمل من الحديث، وأصاب، ونهاني ابن وهب عن كلفة الرأي وكثرته، وأمرني بالإتباع وأصاب، ثم يقول يحيى: اتباع ابن القاسم في رأيه رشد، واتباع ابن وهب في أثره هُدى[38].

فمن هذا النص نستنبط مدى حاجة الحديث إلى الفقه والفقه إلى الحديث.

المطلب الخامس: أسبقية المالكية في التصنيف في علوم السنة "الموطأ والمدونة"

يُعد التصنيف في علوم السنة لدى علماء القرن الثاني بدايات ومحاولات ومن أوائل من فتق التصنيف في فقه الحديث الإمام مالك، حيث صنَّف الموطأ، وله سهم كبير في تصنيف المدونة، وفيما يلي أتناول ذلك بالتفصيل:

أولا: تصنيف الموطأ.

اعتنى الإمام مالك بالموطأ اعتناء كبيراً، حيث دأب عليه بالتهذيب والاختصار، وهذا ما يفسر كثرة رواياته واختلافها، قال صفوان بن

(38) ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض، 386/3.

المنارة للاستشارات

عمر: "عرضنا على مالك الموطأ في أربعين يوماً فقال: كتاب ألَّفتُه في أربعين سنة، أخذتموه في أربعين يوماً، قلَّ ما تتفقهون فيه"[39].

صنَّفه الإمام مالك بن أنس وسماه بالموطأ؛ لأنه وطَّأ به الحديث، أي يسَّره للناس، أو لمواطأة علماء المدينة له فيه وموافقتهم عليه، فقد قال مالك: "عرضتُ كتابي هذا على سبعين فقيها من فقهاء المدينة، فكلهم واطأني عليه، فسميته الموطأ"[40].

وإنَّ التوفيق الذي بعث مالكًا رحمه الله على تدوين الموطأ للُطفٌ ربانيٌ؛ جعله الله مثالًا لحملة سُنة رسوله صلى الله عليه وسلم، مما استخلصه من طرائق شيوخه، فقد رسم مالك بهذا الكتاب طريقته التي اتبعها ونوَّه بها في مجالس تحديثه ودروس علمه، وهي طريقة التمحيص، والتصحيح في الرواية، وتمييز من يستحق أن تحمل عنه السنة، وتبيين محامل الآثار المروية، بعد أن مضى زمن خُلط فيها بين الصحيح والسقيم[41].

وقد أثنى على الموطأ علماء من مختلف المذاهب وقاموا بشرحه، يقول ولي الله الدهلوي: "وتيقنت أنه لا يوجد الآن كتاب ما في الفقه أقوى من موطأ الإمام مالك؛ لأن الكتب تتفاضل فيما بينها، أما من جهة فضل المصنف أم جهة التزام الصحة، أو من جهة شهرة أحاديثها

(39) ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض، 75/2.

(40) ينظر بحوث في تاريخ السنة المشرفة، أكرم ضياء العمري، ص241.

(41) ينظر كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطا، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون – تونس، ط2، 1428هـ، ص19.

المنارة للاستشارات

أو من جهة القبول لها من عامة المسلمين، أو من جهة حسن الترتيب واستيعاب المقاصد المهمة ونحوها"[42].

إبداع الإمام مالك في تصنيف الموطأ وجمعه بين الفقه والحديث:

فقد سبق مالك بعض معاصريه في التصنيف، فأول من عمل الموطأ عبد العزيز بن الماجشون: عمله كلاماً بغير حديث فلما رآه مالك قال: ما أحسن ما عمل ولو كنت أنا لبدأت بالآثار ثم شددت بالكلام[43]. وهذه لفتة منهجية من الإمام حيث ربط الحديث بالفقه ليكمل الاستدلال، فكم من حديث ذُكر مجرداً من معانيه وسيئ فهمه.

فقد صرَّح في أكثر من مسألة في الموطأ بذكر الحديث ثم يُعقبه ببيان معناه، حتى يُفهم ويعمل به.

ولعلي أشير هنا إلى أثر الموطأ في أصحاب المذاهب الأخرى:

- قال محمد بن الحسن الشيباني الحنفي: أقمتُ عند مالك ثلاث سنين وكسرا، وسمعت من لفظه أكثر من سبعمائة حديث، فكان محمد إذا حدث عن مالك امتلأ منزله، وإذا حدث عن غيره من الكوفيين، لم يجئه إلا اليسير[44].

(42) المسوى شرح الموطا، ولي الله الدهلوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1403هـ، 17/1.
(43) ينظر ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض، 75/2. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ابن فرحون، 120/1.
(44) ينظر سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، 167/7.

المنارة للاستشارات

- قال أحمد بن حنبل: كنت سمعت الموطأ من بضعة عشر نفسا من حفاظ أصحاب مالك، فأعدته على الشافعي؛ لأني وجدته أقومهم به[45].

وقال ابن وهب: "من كتب موطأ مالك فلا عليه أن لا يكتب من الحلال والحرام" [46].

ثانيا: المدونة والمادة الحديثية فيها:

حينما يُطلق اسم المدونة يُراد بها مدونة سحنون التي رواها عن عبد الرحمن ابن القاسم عن الإمام مالك بن أنس، فإذا نُسبت المدونة إلى الإمام مالك مباشرة فباعتبار محتواها.

يقول ابن رشد (الجد) عن مكانة المدونة: "وهي مُقدمَّة على غيرها من الدواوين بعد موطأ مالك رحمه الله ... ولا بعد الموطأ ديوان في الفقه أفيد من المدونة، والمدونة هي عند أهل الفقه ككتاب سيبويه عند أهل النحو، وموضعها من الفقه موضع أم القرآن من الصلاة، تجزئ من غيرها ولا يجزئ غيرها منها"[47].

ويذكر محمَّد الطاهر بن عاشور أن من الأسباب التي أدَّت إلى رفض المالكية للأسدية: أن فقهاء المالكية اعتادوا بناء الفقه على الأحاديث والآثار، كما هي طريقة مالك في "الموطأ"[48]، وقد سلك أسد

(45) الإرشاد في معرفة علماء الحديث، أبو يعلى الخليلي، ص60.

(46) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبد البر، 78/1.

(47) المقدمات الممهدات، ابن رشد، 44/1.

(48) سبق في الصفحة السابقة إلى فعل مالك: أول من عمل الموطأ عبد العزيز بن الماجشون: عمله كلاماً بغير حديث فلما رآه مالك قال: ما أحسن ما عمل ولو كنت أنا لبدأت بالآثار ثم شددت بالكلام.

المنارة للاستشارات

في كتابه طريقة فقه خالص، مبني على صريح الاجتهاد، ولذلك عزف الناس عن كتابه، فلما هذَّب سحنون "المدونة" وأرجعها إلى المنهج المألوف عند المالكية، وذلك لاحتجاجه لمسائلها بالأحاديث والآثار اهتم الناس بها وتركوا غيرها.

فمنهج ربط الفقه بالحديث منهج أصيل عني به المالكية وأبدعوا فيه أيما إبداع، ومن بين ما شجَّع أيضا على الإقبال على مدونة سحنون ما يلي: كانت "الأسدية" تشتمل على أجوبة مالك برواية ابن القاسم، أو اجتهادات ابن القاسم على أصول مالك، بينما تضم "المدونة" - زيادة على ما في الأسدية مصححاً - الكثيرَ من الأحاديث من موطأ ابن وهب، والكثير من الآثار عن وكيع، وعبد الرحمن بن مهدي، وغيرهما[49].

ويمكن تلخيص المادة الحديثية في المدونة في الآتي: بلغ مجموع الأحاديث النبوية المرفوعة (551) وتكاد تكون كلها من الصحيح والحسن، ولا يوجد فيها الموضوع[50].

المطلب السادس: الرحلة وأثرها في تلاميذ الإمام مالك وإظهار النتاج الحديثي.

من الأسس التي ساهت في العناية بالسنة لدى مالكية القرن الثاني: الرحلة في طلب الحديث، حيث إن هناك عدة عوامل ساعدت للرحلة للمدينة النبوية، كمكانة المدينة والمنزلة العلمية للإمام مالك.

(49) ينظر مقدمة التنبيهات المستنبطة على الكتب المدونة والمختلطة للقاضي عياض، محمد الوثيق وعبد النعيم حميتي، 69/1.

(50) ينظر تخريج الأحاديث النبوية الواردة في المدونة، الطاهر محمد الدرديري، رسالة دكتوراه – جامعة أم القرى، ص1086.

المنارة للاستشارات

إن الرِّحلة في طلب العلم مُهِمّةٌ جليلةٌ، وهي تُعتبَر من أهمّ أسباب اكتساب العِلم، كما أنها من مزايا أهل العلم في الإسلام من قديم الزَّمان، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ»[51].

لقد بلغت مكانة الإمام مالك رحمه الله تعالى الآفاق حتى جاءه الطلاب من كل حدب وصوب، كيف لا وقد أخبر بذلك الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم بقوله: «يُوشِكُ أَنْ يَضْرِبَ النَّاسُ أَكْبَادَ الإِبِلِ يَطْلُبُونَ العِلْمَ فَلَا يَجِدُونَ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنْ عَالِمِ المَدِينَةِ»[52].

قال محمد بن الحسن: "أقمتُ عند مالك ثلاث سنين وكسراً، وسمعت من لفظه أكثر من سبعمائة حديث"[53].

ويظهر الأثر لحديث مالك ومكانته العلمية: فكان محمد إذا حدَّث عن مالك امتلأ منزله، وإذا حدَّث عن غيره من الكوفيين، لم يجئه إلا اليسير[54].

وأصبحت الرحلةُ في طلب العلم مقصداً أساسياً في نفوس العلماء السابقين، للازدياد من العلم وتنقيحِه وتنويعِه وتعميقِه، فما

(51) رواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، رقم 2699، 2074/4.

(52) رواه الترمذي، أبواب العلم، باب ما جاء في عالم المدينة، برقم 2680، 47/5. وقال: حديث حسن.

(53) سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، 167/7.

(54) المصدر نفسه، 167/7.

المنارة للاستشارات

كان يَتخلَّف عنها إلاَّ مَن أَقعَده ضَعفُ الجسم، أو كثرةُ العيال، أو فقدُ الدُّرَيْهِمات، أو رعايةُ حقِّ الوالدة أو الوالد[55].

ومما سبق نرى أن الإمام مالكاً جاءه الطلاب من كل الأقطار، فنهلوا من معين السنة ثم رجعوا إلى بلدانهم معلمين ومرشدين، فكان للرحلة بالغ الأثر في العناية بالسنة ونشرها.

ومن هؤلاء الطلاب الذين رحلوا:

- يحي بن يحي الليثي:

فيحي الليثي كان له الأثر في نشر الموطأ في الأندلس، حيث رحل وهو ابن ثمان وعشرين سنة، فسمع من مالك بن أنس الموطأ غير أبواب من الاعتكاف فحملها عن زياد عن مالك، وقدم إلى الأندلس بعلم كثير، فدارت فتيا الأندلس بعد عيسى بن دينار عليه، وانتهى السلطان والعامة إلى رأيه، وكان فقيهاً حسَن الرأي، وقد سماه مالك عاقل أهل الأندلس[56].

أقول: لا يزار المغرب الإسلامي يزخر بعلماء المذهب سواء في الحديث أو الفقه، فعلى طلبة العلم إحياء الرحلات العلمية، فما احوجنا اليوم لزيارة العلماء والتعرف عليهم وعلى تراثهم.

جودة التعليم والتدرج:

كان الإمام مالك رحمه الله تعالى من شدة عنايته بتعليم السنة ينهج منهج التدقيق والتدرج مع الطلاب

(55) ينظر صفحات من صبر العلماء، عبد الفتاح أبو غدة، ص107.

(56) ينظر الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء، ابن عبد البر، ص93. طبقات الفقهاء، أبو إسحاق الشيرازي، ص153.

المنارة للاستشارات

ومن الأمثلة على ذلك:

- قول مصعب الزبيري: كان حبيب يقرأ لنا كل عشية من ورقتين إلى ورقتين ونصف لا يبلغ ثلاثاً[57].

ومما يُلاحَظ على تلاميذ الإمام مالك:

1 – كثرتهم:

فلقد بلغوا من الكثرة ما يجعلهم منتشرين في شتى البلدان، فالحظ الذي حصل لمالك ممن روى عنه لم يحصل قط لغيره، فإنه روى عنه الأكابر من كل طائفة من حفاظ الحديث والفقهاء خلائق كثيرون، فقد روى عنه شعبة والثوري والأوزاعي والليث بن سعد وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وابن عيينة وغيرهم، حيث بلغ الرواة عن مالك ما يقارب (1500) راو[58].

2 – إمامتهم ومكانتهم الحديثية: وسأقتصر على الأعلام الذين لهم مرويات وتصنيف في القرن الثاني:

أ - علي بن زياد (183هـ) [59]:

أبو الحسن علي بن زياد من أهل تونس، كان ثقة مأمونا، فقيهاً خياراً، متعبداً، بارعاً في الفقه، سمع من مالك بن أنس، وروى عنه

(57) التاريخ الكبير، ابن أبي خيثمة، 366/2.

(58) ينظر الأنساب، للسمعاني،282/1. الرواة عن مالك، للرشيد العطار، ص236. تزيين الممالك بمناقب الإمام مالك، للسيوطي، ص81.

(59) ويشتبه به رجل آخر من أكابر أصحاب مالك المصريين يكنى بكنيته ويسمى باسمه، وينتسب بنسبه وهو أبو الحسن علي بن زياد الإسكندراني. ينظر ترتيب المدارك، 497/1.

المنارة للاستشارات

الموطأ[60] وهو مذكور من الطبقة الأولى الآخذين عن الإمام مالك، وهو أول من أدخل الموطأ للمغرب، وهذه ميزة تحسب له ولعنايته بنشر السنة[61].

ب - عبد الله بن وهب المصري (197هـ):

هو عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي، أبو محمد المصري الفقيه، من صغار أتباع التابعين، ولمكانته في الفقه والحديث روى له الأئمة في كتبهم: البخاري، مسلم، أبو داود، الترمذي، النسائي، ابن ماجه وأحمد[62].

وله آثاره الحديثية، فهو لم يكتف بالرواية فقط، بل صنَّف في الحديث كتابه "الجامع في الحديث".

ومن أقواله: لولا أن الله أنقذني بمالك والليث لضللت فقيل له: كيف ذلك؟ فقال: أكثرتُ من الحديث فحيرني فكنت أعرض ذلك على مالك والليث فيقولان: خذ هذا ودع هذا[63].

فهنا يرسم لنا ابن وهب الأساليب التالية:

– تواضعه ونسية الفضل لأهله.

– الاعتراف بعدم الفهم والاستدلال.

(60) ينظر طبقات علماء إفريقية، أبو العرب التميمي، ص251.

(61) ينظر مقدمة موطأ علي بن زياد، محمد الشاذلي النيفر، ص8. الموطآت، نذير حمدان، دار القلم، دمشق، ص100.

(62) ينظر تهذيب الكمال في أسماء الرجال، جمال الدين المزي، 277/16.

(63) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ابن فرحون، 416/1.

المنارة للاستشارات

– أثر الشيخ المتقن المتخصص في حل الاشكالات، فبعض طلبة العلم يستدلون لأنفسهم بالحديث دون عرضه على شيوخهم.

وقال أيضاً: "صحبتُ مالكاً عشرين سنة وقالوا: لم يكتب مالك بالفقيه لأحد إلا إلى ابن وهب، وكان يكتب إليه: إلى عبد الله بن وهب فقيه مصر، وإلى أبي محمد المفتي، ولم يكن يفعل هذا لغيره"[64].

ومن الأمثلة على مكانته العلمية:

عن ابن وهب قال: كنتُ عند مالك، فسُئل عن تخليل الأصابع، فلم ير ذلك، فتركتُ حتى خفَّ المجلس، فقلت: إن عندنا في ذلك سنة: حدثنا الليث، وعمرو بن الحارث، عن أبي عشانة، عن عقبة بن عامر: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا تَوَضَّأْتَ خَلِّلْ أَصَابِعَ رِجْلَيْكَ»[65] فرأيته بعد ذلك يُسأل عنه، فيأمر بتخليل الأصابع، وقال لي: ما سمعت بهذا الحديث قط إلى الآن[66].

فهنا نرى مدى أثر الاستفادة العلمية من التلميذ:

- مناقشة الطالب لشيخه وإثرائه لأدلة المذهب.

– تواضع الشيخ لطلابه.

– حسن الاستدلال وصراحته.

(64) المصدر نفسه، 414/1.

(65) أخرجه الترمذي بلفظ: «إِذَا تَوَضَّأْتَ فَخَلِّلْ بَيْنَ أَصَابِعِ يَدَيْكَ وَرِجْلَيْكَ» وقال: هذا حديث حسن غريب. أبواب الطهارة، باب في تخليل الأصابع، رقم 39، 57/1.

(66) الإرشاد في معرفة علماء الحديث، أبو يعلى الخليلي، 399/1.

المنارة للاستشارات

– قبول مالك الدليل من غيره، حيث روى له ابن وهب عن الليث.

وأختم بثناء الإمام أحمد بن حنبل: ابن وهب عالم صالح فقيه كثير العلم، صحيح الحديث، ثقة صدوق يفصل السماع من العرض، والحديث من الحديث، ما أصح حديثه[67].

ج - عبد الرحمن بن القاسم العتقي (191هـ):

له روايات في كتب السنة، ووثقه العلماء، قال أبو زرعة: مصري، ثقة رجل صالح، وقال النَّسَائي: ثقة مأمون أحد الفقهاء. وقال الحاكم أبو عبد الله: ثقة مأمون. وقال أبو بكر الخطيب: ثقة[68].

حيث تظهر جهوده في أوَّلية حمل الموطأ إلى مصر، واشتراكه في صياغة المدونة مع أسد ابن الفرات وسحنون[69].

د - البهلول بن راشد (183هـ):

قال عبد الله بن مسلمة القعنبي: حدثني البهلول وهو وتَدٌ من أوتاد المغرب، قال أبو حاتم: هو ثقة لا بأس به. وقال العقيلي: هو شيخ من أهل المغرب، ليس به بأس[70].

هـ - عبد الله بن فروخ الفارسي (175هـ):

(67) الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء، ابن عبد البر، ص93.

(68) ينظر الجرح والتعديل، ابن أبي حاتم، 279/5، ترجمة: 1325. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، جمال الدين المزي، 346/17.

(69) الإرشاد في معرفة علماء الحديث، الخليلي، 254/1.

(70) ينظر ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض، 366/1. رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية، أبو بكر المالكي، 201/1.

المنارة للاستشارات

رحل إلى المشرق فلقي جماعة من العلماء والمحدثين كزكريا بن أبي زائدة وهشام بن حسان وعبد الملك بن جريج، والأعمش والثوري ومالك بن أنس، وأبي حنيفة وغيرهم. فسمع منهم وتفقَّه بهم، وكان اعتماده في الحديث والفقه على مالك بن أنس، وبصحبته اشتهر، وبه تفقَّه، ثم انصرف إلى أفريقية فأقام بالقيروان يُعلِّم الناس العلم، ويحدثهم فانتفع به خلق[71].

قال عبد الله بن فروخ: لما أتيتُ الكوفة وأكثرُ أمَلي السماع من الأعمش، فسألتُ عنه، فقيل لي: غضب على أصحاب الحديث، فحلف أن لا يُسمعهم مدة، فكنتُ أختلف إلى باب داره لَعلِّي أصِل إليه، إذ فتحَتْ يوماً بابه وخرجَت منه جارية، فقالت لي ما بالك على بابنا؟ فأعلمتها بخبري. قالت وأين بلدك؟ قلت أفريقية. فانشرحت إليَّ وقالت تعرف القيروان؟ قلت أنا من أهلها. قالت: تعرف دار ابن فروخ؟ قلت: أنا. فتأملتني، ثم قالت: عبد الله؟ قلت نعم. وإذا هي جارية لنا بعناها صغيرة، فصارت إلى الأعمش، وقالت له: مولاي الذي كنت أخبرتك بخبره بالباب. فأمر بإدخالي فدخلت، وأسكنني بيتاً قبالة بيته، فسمعت منه وحدثني[72].

و - معْن بن عيسى القزاز (198هـ):

وروايته عن مالك اعتمدها أبو عيسى الترمذي في جامعه، فكل ما أدخله عن مالك فقد قال في آخر كتابه: إنه من رواية معن[73]. وهو من

(71) ينظر ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض، 374/1.

(72) ينظر ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض، 379/1.

(73) ينظر سنن الترمذي، فقد روى عنه ما يقارب التسعين رواية، ينظر شرح علل الترمذي، 334/1 . ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض، 404/1.

المنارة للاستشارات

الثقات، فقد روى له أصحاب الكتب الستة، قال أبو حاتم الرازي: أوثق أصحاب مالك وأثبتهم معن، وهو أحبُّ إليَّ من ابن نافع وابن وهب، وكان ثقة كثيرَ الحديث، مأموناً ثبتاً، قال الشافعي: قال لي الحميدي: حدثَني من لم ترعيناك مثله: معن بن عيسى[74].

فتبنى ذكر الأئمة أقوالهم واعتمادها في نقد الرجال

وهذا الحرص انطبع لدى تلاميذ مالك، فجاءه الطلاب من كل حدب وصوب، حرصين على الأخذ من أدبه وعلمه.

فهذا يحي بن يحي النيسابوري بعد أن أتمَّ رواية الموطأ، بقي ثلاث سنين ليتعلم من مالك سمته وأدبه وطريقة تعليمه.

وهذا محمد بن الحسن الشيباني ترك العراق ورحل إلى مالك حرصاً منه على دراسة الأدلة[75].

جهودهم في نقد الرجال[76]:

ولمكانة تلاميذ مالك العلمية خاصة في علوم السنة نجد اعتبار أقوالهم في نقد الرجال:

- فهذا ابن المبارك يعتبر أحد الجهابذة النقاد المعتد بأقوالهم في الجرح والتعديل.

- قال عبدالرحمن بن خِراش: بلغني أن مالكاً نقم على هشام بن عروة حديثه لأهل العراق، وكان لا يرضاه، ثم قال: قدم الكوفة ثلاث مرات، قدمةً كان يقول فيها: حدثني أبي قال: سمعت عائشة، والثانية

(74) ينظر تهذيب الكمال في أسماء الرجال، جمال الدين المزي، 336/28.

(75) ينظر سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، 167/7.

(76) ينظر الإمام مالك وأثره في علم الحديث النبوي، مشعل الحداري، ص265.

المنارة للاستشارات

فكان يقول: أخبرني أبي عن عائشة، وقدم الثالثة فكان يقول: أبي عن عائشة، يعني يُرسل عن أبيه[77].

- ذكر أبو عمر في "الجامع " أن أحمد بن صالح قال: سألت عبد الله بن وهب عن ابن سمعان فقال: ثقة[78].

- قال ابن وهب: لم يسمع أسامة إلا هذا الحديث وحده من سعيد ابن المسيب[79].

فمما سبق يتبين المكانة العلمية التي يتمتع بها علماء مالكية هذا القرن وأثرهم العلمي في خدمة السنة النبوية في شتى الجوانب.

الخاتمة

بعد هذا العرض توصلت إلى نتائج وتوصيات أذكرها فيما يلي:

أولا: النتائج:

- علماء المالكية في القرن الثاني من أوائل من اعتنى بالسنة تعليماً وتصنيفاً.
- ظهر أثر الإمام مالك في العناية بالسنة من خلال حرصه وتحريه في الرواية والرواة.
- ظهرت عناية تلاميذ مالك بالسنة في تعليمها ونشرها في شتى البلدان من خلال رحلة كثير من الطلاب، كعلي بن زياد في

(77) سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، 35/6.

(78) إكمال تهذيب الكمال، مغلطاي بن قليج، 360/7.

(79) ينظر المعرفة والتاريخ، يعقوب الفسوي، 181/3.

المنارة للاستشارات

المغرب، ويحي النيسابوري في خرسان، وعبد الرحمن بن القاسم في مصر.

- شهادة العلماء بصحة أسانيد مالك وعلوها. كأحاديث الموطأ والمدونة.
- للمالكية روايات في كتب السنة الصحيحة ولهم أقوال في نقد الرجال مما يدل على أن لهم السبق.

ثانيا: التوصيات:

- إنشاء مراكز متخصصة تعنى بالتراث الحديثي المالكي.
- التعمُّق في دراسة فقه الحديث من خلال فتح برامج الدراسات العليا في فقه الحديث.
- توجيه طلبة العلم بتكثيف الدراسات المعاصرة المرتبطة بفقه الحديث.
- طباعة الرسائل العلمية ونشرها ورقية والكترونيا وتبادلها بين المكتبات والجامعات المحلية والدولية نشرا للتراث المالكي.
- إحياء الرحلة وزيارة العلماء والتعرف عليهم وعلى تراثهم.

قائمة المصادر والمراجع

المنارة للاستشارات

- الإرشاد في معرفة علماء الحديث، أبو يعلى الخليلي، تحقيق: وليد متولي محمد، الفاروق الحديثية، القاهرة، الطبعة: الأولى،1431هـ - 2010م.
- إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، مغلطاي بن قليج، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن محمد وأبو محمد أسامة بن إبراهيم، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة: الأولى، 1422هـ - 2001م.
- الإمام مالك وأثره في علم الحديث النبوي، مشعل الحداري، غراس للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة: الأولى، 1425هـ – 2004م.
- الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء، يوسف بن عبد البر، اعتنى به عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1417هـ.
- الأنساب، عبد الكريم بن محمد السمعاني، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الطبعة: الأولى، 1382هـ - 1962م.
- بحوث في تاريخ السنة المشرفة، أكرم بن ضياء العمري، دار بساط، بيروت، الطبعة: الرابعة.
- تاج العروس من جواهر القاموس، الزَّبيدي، دار الهداية.

المنارة للاستشارات

- التاريخ الكبير، ابن أبي خيثمة، تحقيق: صلاح بن فتحي هلال، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر – القاهرة، الطبعة: الأولى، 1427هـ - 2006م.
- تخريج الأحاديث النبوية الواردة في المدونة، الطاهر محمد الدرديري، رسالة دكتوراه – جامعة أم القرى.
- تزيين الممالك بمناقب الإمام مالك، للسيوطي، تحقيق: هشام بن محمد حيجر، دار الرشاد الحديثية، المغرب، الطبعة: الأولى، 1431هـ - 2010م.
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبد البر، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1387هـ.
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف بن عبد الرحمن المزي، تحقيق: بشار عواد معروف، الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، 1400هـ – 1980م.
- الجامع المختصر من السنن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل (سنن الترمذي)، محمد بن عيسى الترمذي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1998م.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، محمد بن

المنارة للاستشارات

إسماعيل البخاري دار طوق النجاة، القاهرة، الطبعة: الأولى، 1422هـ

- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، الخطيب البغدادي، تحقيق: طارق بن عبد الواحد، الطبعة: الأولى، دار ابن الجوزي، الرياض، 1433هـ

- الجرح والتعديل، محمد عبد الرحمن ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - بحيدر آباد الدكن، الهند/دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، 1271هـ - 1952م.

- الحديث والمحدثون، محمد محمد أبو زهو، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة: الثانية، 1378هـ

- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة.

- الرواة عن مالك، يحيى بن علي بن عبد الله المعروف بالرشيد العطار، أبو محمد سالم بن أحمد، مكتبة الغرباء الأثرية، الطبعة: الأولى 1418هـ - 1997م.

- رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية، أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي، تحقيق: بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الثانية، 1414هـ - 1994م.

المنارة للاستشارات

- سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، دار الحديث، القاهرة، 1427هـ - 2006م.
- شرح علل الترمذي، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، تحقيق: همام عبد الرحيم سعيد، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، الطبعة: الأولى، 1407هـ - 1987م.
- صفحات من صبر العلماء، عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1433هـ-2012م.
- طبقات علماء إفريقية، أبو العرب محمد بن أحمد التميمي، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
- طبقات الفقهاء، أبو إسحاق الشيرازي، إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1970م.
- كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطا، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون، تونس، الطبعة الثانية، 1428هـ.
- الكفاية في علم الرواية، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق أبو عبدالله السورقي وإبراهيم حمدي المدني، المكتبة العلمية، المدينة المنورة.
- لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثالثة، 1414هـ.

المنارة للاستشارات

- المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي، تحقيق: د. محمد عجاج الخطيب، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة، 1404هـ.
- المحكم والمحيط الأعظم، علي بن إسماعيل بن سيده، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية –بيروت، الطبعة: الأولى، 1421هـ - 2000م.
- المدونة، مالك بن أنس، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1415هـ - 1994م.
- مسند الموطأ، عبد الرحمن بن عبد الله الجوهريّ المالكي، تحقيق: لطفي بن محمد الصغير، طه بن علي بُو سريح، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، 1997م.
- المسوَّى شرح الموطا، ولي الله الدهلوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1403هـ.
- معرفة أنواع علوم الحديث، عثمان بن عبد الرحمن ابن الصلاح، تحقيق: نور الدين عتر، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1406هـ - 1986م.
- معرفة علوم الحديث، محمد بن عبد الله الحاكم، تحقيق: أحمد بن فارس السلوم، مكتبة المعارف، الرياض، السعودية، الطبعة: الثانية، 1431هـ - 2010م.

المنارة للاستشارات

- المعرفة والتاريخ، يعقوب بن سفيان الفسوي، تحقيق: أكرم ضياء العمري، الرسالة، بيروت، الطبعة: الثانية، 1401هـ - 1981م.
- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.
- المقدمات الممهدات، أبو الوليد محمد ابن رشد، تحقيق: الدكتور محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، 1408هـ - 1988م.
- المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال، شمس الدين الذهبي، تحقيق: محب الدين الخطيب.
- الموطأ رواية علي بن زياد، تحقيق: محمد الشاذلي النيفر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الثالثة، 1400هـ - 1980م.
- الموطآت، نذير حمدان، دار القلم، دمشق.
- نصيحة أهل الحديث، الخطيب البغدادي، تحقيق عبد الكريم الوريكات، مكتبة المنار، الزرقاء، الطبعة الأولى، 1408هـ - 1988م.

المنارة للاستشارات